

المستطرف في كل فن مستظرف

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبي إلى حاتم وقولي له إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فارسل إلينا بناقة نقرهم ولبن نسقيهم فأنت الجارية حاتما فصاحت به فقالت لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام إلى الإبل فأطلق اثنتين من عقاليهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقبيهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذي طلقتك بسببه نترك أولادنا وليس لهم شيء فقال لها ويحك يا ماوية الذي خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان إذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانهم بنار فيوقدونهم في بقاع الأرض لينظر إليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدوها ولم يكن حاتم يمسك شيئا ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يوجد بهما ثم جاد بفرسه في سنة مجدبة .

حكى أن ملكا ابن أخي ماوية قال قلت لها يوما يا أمة حدثيني ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخي أعجب ما رأيته منه أصابت الناس سنة أذهب الخف والظلف وقد أخذني وإياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهم حتى ناما فأقبل علي يحدثني ويعلنني بالحديث حتى أنام فرفقت به لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام فقال لي أنمت فلم أجبه فسكت ونظر في فناء الخباء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا عدي أتيتك من عند صبية يتعاونون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها احضري صبيانك فواي لأشبعنهم فقامت سريعة لأولادها فرفعت رأسي وقلت له يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فواي ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقال واي لأشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدينة بيده وعمد إلى فرسه فذبحه ثم أجم نارا ودفع إليها شفرة وقال قطعي واشوي وكلي واطعمي صبيانك فأكلت المرأة وأشعبت صبيانها فأيقظت أولادي وأكلت وأطعمتهم